مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

فعالية المثقف المُصلح في ظل التحولات المعاصرة

The effectiveness of the reformed intellectual in light of contemporary transformations

نجمة عليوش
جامعة 20أوت1955_سكيكدة_aliouchend@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/08 تاريخ القبول: 2021/04/18

ملخص

يواجه المثقف في ظل التغيرات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي يشهدها العالم المعاصر، يواجه تحولا على مستوى الدور الذي يقوم به داخل المجتمع، بعدما كان يؤدي دور المُصلح والمسؤول عن توعية الناس من خلال ما يقدمه لهم من إيضاح وتفسير للواقع الاجتماعي المعيش، إلا أن هذا المثقف لم يعد له وجود وتواجد فعلي في هذا العصر، بالموازاة مع ظهور ما نُطلق عليه مثقف البلاطوهات الذي يختلف عن المثقف الحقيقي كونه يكتفي بتواجده في البرامج التلفزيونية مع ضعف في التحليل المنطقي والعلمي الذي يصطبغ به طرحه، ومن خلال هذه الورقة البحثية نطرح موضوع المثقف في ظل التحولات المعاصرة.

الكلمات الدالة:

المثقف ,المثقف الحقيقي, مثقفو البلاطوهات, علي شريعتي, الفعالية.

المؤلف المرسل: نجمة عليوش: aliouchend@gmail.com

Abstract

The Intellectual Faces, In Light Of The Political, Economic, Social, And Cultural Changes That The Contemporary World Is Witnessing, Facing A Transformation At The Level Of The Role He Plays Within Society, After He Plays The Role Of The Reformer And Responsible For Educating People Through The Clarification And Interpretation He Provides For The Living Social Reality, Except That This Intellectual No Longer Has An Actual Presence And Presence In This Era, In Parallel With The Emergence Of What We Call The Cultured Courtesy, Which Differs From The Real Intellectual, As It Suffices With His Presence On TV Programs With A Weakness In The Logical And Scientific Analysis That Characterizes His Presentation, And Through This Research Paper We Present A Topic Wound Up In Light Of Contemporary Transformations.

Key Words:

The Intellectual, The Real Intellectual, The Role,Ali Shari'ati, Effectiveness .

1. - مقدمة

تطورت المجتمعات الإنسانية عبر الحقب الزمنية وأصبحت على قدر كبير من التقدم في مختلف مجالات الحياة، ويعود الفضل في ذلك إلى العقل البشري الذي أنتج تشريعات وأحكام استطاع من خلالها تنظيم حياة الأفراد والجماعات، ويبرز دوره(العقل البشري) جليا مع ظهور نموذج الدولة التي قدمت صورة أفضل من غيرها من النماذج في تسيير شؤون المجتمع(في المجتمعات الأوروبية على الأقل)، حيث ساهمت في حماية حقوق الأفراد، وتوفير الفرص لإطلاق طاقاتهم العقلية والإبداعية، وتنمية جميع جوانب الشخصية لديهم بما يؤهلهم للمشاركة في بناء مجتمعهم، الذي يعتبر أبرز الواجبات المنتظرة منه في حدود ما تمليه القوانين والتشريعات في دولة ما، التي تقوم بدور التنظيم والتسيير

الأمثل للرأسمال البشري والمادي، هذا التسيير الذي يقوم على مبدأ العدالة والكفاءة من بين مبادىء أخرى على درجة كبيرة من الأهمية.

وتعتمد الدولة في تسيير المجتمع على ثلاث سلطات هي: السلطة التشريعية المكلفة بسن تشريعات وقوانين تتلاءم وطبيعة المجتمع، مع ما يتخللها من تعديلات أو تغييرات حسب التحولات التي يمر بها المجتمع، والسلطة التنفيذية التي تتكفل بتطبيق تلك التشريعات، فيما تعمل السلطة القضائية على مراقبة السير الحسن لهذه الأحكام والقوانين، كما تُعرض كل من يخالفها إلى العقاب، لتكون هذه السلطات التقليدية الثلاث بمثابة الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الدولة في تنظيم المجتمع وحماية حقوق وواجبات أفرادها، إلا أن هذه السلطات قد تعتريها بعض الإختلالات في وظائفها المنوطة بها حتى أنها قد تكون سببا في حدوث الفوضى، وضياع الحقوق، وتتسبب في توقف مسار التنمية الاجتماعية، وهنا تبرز أطرافا أخرى تهدف إلى حماية حقوق المواطن والمناداة بالإصلاح المجتمعي، والمتمثلة مثلا في وسائل الإعلام والإتصال التقليدية والحديثة، ومنظمات وتشكيلات ما يُعرف بالمجتمع المدني التي أصبح لها في عصرنا تأثيرا كبيرا على سياسات الدول.

ويحدث أن تفتقد بعض المجتمعات لجهات ذات تأثير كبير تعمل على مساندتها والدفاع عنها، وفي أحيان كثيرة تكون طرفا إضافيا في تعقيد الوضع، عندما تتماهى مع ممارسات السلطات التقليدية، ويصدق هذا الحال على المجتمعات التي تفتقر للديمقراطية والحرية، والواقعة تحت حكم القوى التي تنتهج الإستبداد والقمع كأساليب للحكم، وإذا ما طال أمدها فإنها تُشكل إنسانا خانعا ومستسلما لوضعه لا يمتلك الوسائل التي تمكنه من مقاومة التسلط الذي يقع عليه، ولكي تتمكن هذه القوى من المحافظة على وضعها وامتيازاتها فإنها تنتهج سياسات وأساليب تضمن لها الإبقاء على الجماهير في حالة خنوع وتقبل للوضع الذي تعيشه، حتى أنها(الجماهير) ترضى بهذا الحال وتظنه أفضل ما تستحقه، لتعمل بعد ذلك وسائل الإعلام الموالية لقوى التسلط على غرس الأفكار التي توهم المجتمع أنه يسير في خطى ثابتة نحو التقدم وتحقيق حياة أفضل لأفراده، ليقع تحت تأثير الإعلام المركز بفضل البث المتكرر للرسالة الإعلامية وتغليفها بعناصر جذابة، التي تستولي بذلك على فكر

المتلقي وتغير من إتجاهاته وقناعاته خاصة إذا كان هذا المتلقي هو الشريحة البسيطة من الشعب ذات التعليم والثقافة المتدنية، والتي تفتقد منطق التحليل الموضوعي والعلمي للقضايا والأحداث، ليكون تأثير الإعلام عليها أكثر من غيرها.

وفي مقابل الشريحة البسيطة من الشعب التي تستوعب فقط ما تشاهده كمتلقي سلبي، هناك الطبقة المثقفة التي تحوز على مستوى تعليمي وثقافي عال، وتمتلك بعكس الأخرى أدوات التحليل المنطقي والموضوعي للواقع الاجتماعي بجميع أبعاده، والتي تكون بمثابة العقل المفكر الذي ينظر إلى الوقائع بعين الناقد فتشير إلى السلبيات ومواطن العلة وتقترح مخرجا تبتغي منه الإصلاح، وهذا هو المثقف الذي يمتلك وعيا وإدراكا للواقع الاجتماعي على صورته الحقيقية، متخطيا بذلك الصور التي تعكسها القوى المسيطرة على المجتمع، ولا يتحدد دور المثقف في الكشف عن مواطن الخلل في النسق السياسي فقط، بل يتعداه إلى النسق: الثقافي، والأسري، والتعليمي، والاقتصادي...الخ، فالمثقف لا يختص بنسق دون غيره وهو غير ملزم بالتفاعل ضمن أطر وحدود معينة، فرسالته ومسؤوليته تحتم عليه الولوج في مختلف المجالات التي يرى فيها أسباب العلة داخل المجتمع، وفي هذه الورقة البحثية نحاول البحث سنحاول الاجابة على الأسئلة التالية:

1 -من هو المثقف؟

2 -ما المنتظر من المثقف في مجتمعه؟

3 -ماهو دور المثقف في ظل التحولات المعاصرة، وهل هو في ذلك مخير؟ أم مُسير؟

4 -هل هناك احتمالية لاختفاء المثقف المُصلح من المشهد الثقافي والاجتماعي الجزائري، خاصة مع ظهور مع ما بات يُعرف بـ "مثقفي البلاطوهات"؟

2. - من هو المثقف؟

لكل مصطلح جذور لغوية ومعانٍ ترتبط به ضمن إطار المجال المعرفي والتخصص العلمي المستخدم فيه، كما يخضع إلى تغييرات في مدلولاته الناتجة عما يستجد من دراسات وأبحاث عالجت مصطلحا بعينه، هذه الدراسات التي قد تتقاطع في نقاط تشابه مشتركة لما توصلت إليه من تحليل وتوصيف جزئي أو كلي لبنية المفهوم الذي قد يخضع إلى تغيرات في معناه القديم المتفق عليه نتيجة بعض التحولات المجتمعية المحلية والعالمية، حتى لا يُنسى ويبقى رهين فترة زمنية معينة وهي بمثابة عملية إعادة تشريح لحقيقة المصطلح بغاية فهم وقراءة أفضل للواقع الاجتماعي.

وهذا هو الحال بالنسبة لمصطلح المثقف، الذي شغل حيزا كبيرا من الإهتمام في الدراسات العلمية والأبحاث الاجتماعية العربية والأجنبية، في سبيل تحديد معناه الاشتقاقي والاصطلاحي لما له(المثقف) من أهمية وظيفية داخل نسيج المجتمع، وعلينا أن نعرف قبل أن نتطرق لمفهوم المثقف بأن قضية "المثقف"(علي شريعتي،2007) تم طرحها لأول مرة في العالم بعد نهاية العصور الوسطى، وذلك منذ القرن السابع عشر حيث تشكلت في أوروبا طائفة تسمى "بشريحة المثقفين"، وبعد القرن التاسع عشر أخذت هذه الطائفة باسمها وخصائصها وسماتها تشق طريقها إلى الدول غير الأوروبية، في ما اعتبر الجابري(2000) أن ظاهرة المثقفين في العالم العربي المعاصر إذا كانت ترجع إلى الاحتكاك بالثقافة الأوروبية الحديثة، فإن الظاهرة نفسها نشأت في أوروبا الوسيطة نتيجة احتكاكها بالثقافة العربية الإسلامية، ولكننا نبحث هنا عن الاستخدام الأول للفظ "المثقف"، ومنه ولأن استخدام الكلمة بدأ لأول مرة في الساحة الثقافية الأوروبية، وجب علينا أن نبحث في الأصل الاشتقاقي للكلمة في اللغات الأوروبية، والتي "تأتي بمصطلح Intelgentsia وهي اسم مصدر والصفة منها هي Intellectuel، وأصل الكلمتين معا هو Intellect التي تعني الفطنة، أو العقل، أو قدرة الإدراك والفهم والإستنتاج"(علي شريعتي، 2007)، فوعي الانسان بذاته وبما حوله يتم من خلال العقل، بمعنى أن المثقف هو ذلك الذي يستخدم عقله كأداة ووسيلة لفهم ما حوله، أما في "اللغة الفرنسية فمرادف كلمة مثقف هو كلمة Clairvoyant وتعني بعيد النظر أو مستنير"(علي شريعتي،

2007)، خاصة أن فرنسا عُرفت بأنها بلد الثقافة والمثقفين وتحديدا في عصر الأنوار، الذي شهد بزوغ أهم وأبرز المثقفين ولا تزال أسماؤهم تُذكر ليومنا هذا، نتيجة ما قدموه من أعمال وأفكار أثرت في التاريخ الفرنسي وساهمت في إحداث التغيير في العقول والمجتمع الفرنسي وحتى العالمي.

أما في الثقافة العربية فلم يرد مصطلح "المثقف" بمعناه المعاصر المتعارف عليه اليوم، ولكنه يأتي بالكلمة الاشتقاقية له "ثَقُفَ، ثَقْفاً وثَقَفاً، أي صار حاذقا فطنا فهو ثِقْفٌ"(مجد الدين الفيروزآبادي، 2008)، وهذا المعنى بعيد كل البعد عن المدلول اللغوي لمفهوم المثقف في اللغات الأوروبية التي كانت السباقة في التعبير في أدبياتها وحياتها الثقافية بهذا المفهوم، "أما في المعاجم العربية فيدل على الحذق، الفطنة، وخفة الظل(...) بينما "الثقيف" هو الثقيل أو الحامض"(فهمي هويدي، 1999)، وحقيقة أن مصطلح "المثقف" ليس له جذورا لغوية واصطلاحية في الثقافة العربية ليس فيه انتقاصا أو تقليلا لقيمة هذه الثقافة ولا يعني أن المجتمعات العربية لم يكن لها مثقفوها، وهذا بعيد عما نبتغيه في هذه الورقة البحثية، إنما هذا يحيلنا إلى قضية مهمة وجب منا الالتفات إليها والمتمثلة في أن كل مصطلح أو مفهوم هو ابن بيئته، وصنيعة أحداثٍ وحقبٍ تاريخية معينة، وانعكاس لأفكار الأفراد الذين عاشوا خلال تلك الحقب، فالمصطلح إذا لديه خصوصية جغرافية، تاريخية، وثقافية يمتلكها إنسان تلك الجغرافيا وذلك التاريخ، وقد يحدث أن يَكْسِر مصطلحا ما هذه الخصوصية ويتعدى الحدود التي رسمتها له، فيتجاوزها نحو ثقافات ومواطن أخرى مختلفة عن الحاضنة الأصلية التي شكلته، وهذا بالضبط ما حدث مع مصطلح المثقف.

وقد شهد المفهوم الاصطلاحي للمثقف الكثير من التعريفات التي اتسمت بالخلط بينه وبين مصطلحات أخرى كالمفكر والمتعلم، التي نرى كغيرنا اختلافا جوهريا بينها وبين مصطلح المثقف، ولأننا نبتغي معنى محدد يعكس فهمنا لهذا المصطلح بحثنا في أبرز الكتابات والدراسات الأصيلة التي تناولت بالبحث والتحليل المعنى الاصطلاحي للمثقف، والذي وجدناه في كتابات المفكر وعالم الاجتماع الإيراني علي شريعتي كونه قدم طرحا مُعمقا لقضايا دول العالم الثالث، وتعاطى معها من خلال ملاحظاته لواقع مجتمعات هذه الدول،

وما تلاه من تحليلات موضوعية تعكس خصوصية هذا الواقع، فكانت قضية المثقف من بين أبرز القضايا التي تعمق في فهمها، وقد بنى شريعتي رؤيته حول المثقف على القاعدة التي تقول في علم الاجتماع **"أن حقيقة ما قد تكون في مجتمع معين صادقة ومنطقية تماما، لكنها قد تكون مضرة وكارثة وقبيحة في ظل ظروف اجتماعية أخرى"**، خاصة أنه قارن بين المثقف في أوروبا والمثقف في العالم الإسلامي ونتيجة لهذه المقارنة والبحث أعطى تعريفا للمثقف(2007) **"وهو ذلك الإنسان الذي يفكر بطريقة جديدة وإن لم يكن متعلما أو عارفا بالفلسفة، لكنه يحس عصره، ويفهم الناس، ويفهم كيف يفكر الآن، ويفهم كيف ينبغي عليه أن يحس بالمسؤولية، وعلى أساس هذه المسؤولية يكون مستعدا للتضحية"**، ومن خلال هذا التعريف الذي قدمه شريعتي نستخلص هوية وسمات المثقف الذي يعنيه والجدير بحمل هذا اللقب حسبه وهو:

- من يخضع أفكاره للنقد والتجديد.
- من يحس بعصره ويفهم الناس.
- من يعي مسؤوليته المجتمعية.
- من يضحي من أجل مصلحة مجتمعه.

وبهذه الصفات التي تضمنها تعريف علي شريعتي للمثقف نستخلص أنه أوجد فهما مخالفا للمألوف والمتعارف عليه لماهية المثقف، وهو المتعلم والحاصل على الشهادات المدرسية، أو ذلك الذي يمتلك معلومات ومعارف في مختلف المجالات، وكلا الصنفين يندرج ضمن فئة رجال الفكر، "وهم الأفراد الذين يتميزون عن باقي أعضاء المجتمع بالخبرة والمعرفة، التي يحصلون عليها عن استعداد أو كالتزام مترتب على وظيفتهم المهنية، التي تستدعي استخدام مثل هذه الخبرة والمعرفة"(أحمد زكي بدوي، 1977)، ولا يتحدث شريعتي عن هؤلاء ولا يشملهم في تعريفه للمثقف، حتى أنه عرب كلمة Intellectuel الأوروبية(2007) بكلمة متعلم، أو "ذو شهادة" لأنه يعلم ويعمل بما تعلم، فالمثقف هو من يحمل وعيا وفهما للواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، ولا يكتف بمجرد فهمه بل ويعمل على إفهامه لأفراد مجتمعه لأنه يبتغي مصلحتهم التي تأتي في أولويات اهتماماته، فالسمة البارزة للمثقف حسب شريعتي تتمثل في "معرفته لمجتمعه معرفة حقيقية، والتفاهم مع قومه، ومعرفة عصره، فهو القادر على أن

يحدد في أي مرحلة من التاريخ يعيش مجتمعه، أو بعبارة أخرى ما هو زمانه الاجتماعي؟"، ولا يُشترط أن يكون هذا المثقف ذو علم واسع أو متحصل على الشهادات التي تثبت ذلك، يكفي أن يشعر ويفهم ما يدور حوله، وفي مفهوم "المثقف" الذي قدمه شريعتي يتشابه ويتقاطع مع ما أطلق عليه محمد عابد الجابري "المثقف النهضوي"، ويعني به المثقف الذي يحمل هم وطنه وأمته، الحالِم بغد أفضل المُشرع للمستقبل ضمن إطار نظري"(محمد عابد الجابري، د.ت)، وتكمن نقطة التشابه بينهما أن كلا المثقفين عند شريعتي والجابري يحمل هم وطنه ويهدف إلى خير مجتمعه ونهضته، من خلال ما يقدمانه من أفكار إصلاحية ونهضوية، فيما يختلفان في أن المثقف النهضوي للجابري ينحصر دوره ضمن الإطار التنظيري لملامح النهضة التي يبتغيها فقط، فيما يتجاوز المثقف المصلح لشريعتي هذا الإطار نحو الإصلاح في على مستوى الواقع.

3. - المثقف الحقيقي أو المثقف المُصلح

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من مشاكل وأزمات تعرقل مساره التنموي، وتعيق بناءه الحضاري مهما كان هذا المجتمع على درجة كبيرة من التنمية والتقدم في جميع مجالات الحياة، وحتى لو تم تصنيفه كمجتمع رفاه يعيش فيه أفراده بمقاييس أفضل من غيرهم في مجتمعات أخرى إلا أن هذا لا يعني أنه (المجتمع) لا تتخلله مشاكل أو نوعا من الاستغلال الذي يعود بالضرر على أعضائه في أي صورة كانت، ولأنه كلما حدثت تغيرات في النظام الاجتماعي بجميع أنساقه تبعتها تغيرات في تفكير الأفراد والجماعات، وهذا ما يؤدي إلى بروز احتياجات ومطالب جديدة تفرضها هذه التغيرات التي قد تستجيب لها السلطات المسؤولة عن تسيير شؤون المجتمع، أو أنها ستتجاهلها وتعمل على تغييبها عن العقول واستبدالها بقضايا أخرى لا تعبر عن دورها الحقيقي الذي قامت لأجله، ولا تتوقف الأمور عند هذا الحد بل تتعدى إلى قيامها بصناعة عالم افتراضي آخر معاكس تماما عما هو واقع وملموس، فتقنع أفراد المجتمع أنهم على ما يرام من خلال وسائل الإعلام والمؤسسات. لتتمكن من تشكيل عقل ذلك المواطن البسيط الذي تلقى تنشئة تتبنى هذه الأفكار وتغرسها فيه، وتمنعه من أن يتفطن أو يعي ما يدور حوله من سلب لحقوقه وتسلط على حرياته. وهنا يبرز دور المثقف الذي تمكن من الإفلات من أساليب التجهيل والقولبة، من خلال

ما يمتلكه من فهم للحقائق ومنطقية رؤيته للأحداث، "فهو المسؤول عن إيجاد السبب الأساسي والحقيقي لانحطاط المجتمع، ثم يقوم بتنبيههم وأن يقترح الحل، الهدف، والأسلوب الصحيح للنهوض"(علي شريعتي، 2007) .

فالمثقف إذا لا يكتفي بمجرد إيضاح الصورة الحقيقية للواقع المختل الذي يعيشه الناس بل يتخطاه إلى توجيههم نحو السبل التي تمكنهم من تغيير هذا الواقع، وهذا لا يعني أن يكون قائدا بمعنى المسؤول والمتحكم في عملية التغيير، وإنما يتمثل دوره في كونه مجرد منبه للعقول وعامل أساسي في تبديد الأوهام والمغالطات التي عطلت الوعي لدى أفراد الشعب، وهكذا يكون دور المثقف حسب شريعتي(2007) شبيها بالدور الذي كان يقوم به الأنبياء، الرسل، وأئمة المذاهب في العصور القديمة الذي يتمثل في منح بني البشر المعرفة والوعي، ويتطلب من المثقف الاتصاف بالشجاعة والتضحية في سبيل إيصال أفكاره إلى أفراد مجتمعه مهما كانت العواقب، لأن وعيه ونزعته الإنسانية التي يحملها هما من تدفعانه في هذا الاتجاه وتفرضان عليه الشعور بالمسؤولية المجتمعية ويكون ذلك حسب الجابري(1990) من خلال الدور الذي يقوم به كمشرع، ومعترض، ومبشر بمشروع، أو على الأقل صاحب رأي وقضية يعمل باستمرار ودون توقف للدفاع عن هذه القضية أو تلك، حتى يتأكد واقعيا أنها لم تعد تقف عائقا أمام المصالح الفردية والعامة، ولن يكون هذا نهاية لدوره الإصلاحي والتنويري فهو سيبحث عن مشكلة أخرى يعاني منها أفراد المجتمع ويتبناها لأنه بمثابة "ناقد اجتماعي وهو الذي يساهم في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل"(محمد عابد الجابري، 2000)، ليكون دوره غير محددا بقضية أو حقبة زمنية معينة، فهو ابن مجتمعه ويشغله كل ما يؤرق ويؤلم هذا المجتمع، لأنه ببساطة لا يدافع عن حقوق مجتمعه من منطلق أنه يفهم أكثر منهم أو يمتلك أدوات وسلطات فَرضت عليه هذا الدور، بل هو ذلك القلق الذي يعتريه حين يشاهد الناس تعاني من أجل التمكن من البقاء على قيد الحياة، إنها تلك الحيرة وقلة الحيلة التي تتلبسه حين لا يستطيع أن يزيل المعاناة عنهم، هو تفكيره المتواصل في وضعيات الناس، هو ذلك الذي يضع مصلحة الناس فوق مصلحته الشخصية، وما المكانة المرموقة والقبول الذي حظي به المثقفون في فرنسا في عصر الأنوار وما بعده لدى شعبهم "إلا لأنهم وضعوا شهرتهم في خدمة

من لا شهرة له، لأنهم وضعوا أنفسهم في خدمة الآخرين، فالمكانة المرموقة التي حصلوا عليها كانت بمستوى إخلاصهم والمخاطر التي واجهوها ومعاركهم ضد السلطات القائمة"(باسكال بونيفاس 2013).

- دور المثقف في مجتمعه

عادة ما يظهر المثقفون في أوقات الأزمات التي تعصف بمجتمعاتهم، فيكون لهم الظهور الأبرز، حيث يعبرون عن مواقفهم من هذه الأزمات وآرائهم التي تستند إلى تحليل علمي واقعي، دون خلفية سياسية أو مصلحية توجه هذا التحليل ، فغرضهم فقط تمكين أفراد مجتمعهم من معرفة الوجه الخفي من الأزمة أو المشكلة، وهؤلاء المثقفون مختلفون عن المثقفين الذين يظهرون على شاشات التلفزيون اليوم ممن يُطلب منهم تقديم رأيهم العلمي في مشكلة أو آفة معينة، فتراهم يصولون ويجولون بكلام عقيم وجاف تغلب عليه السطحية والشعبوية التي تحكمها العاطفة، حيث لا يختلفون عن العوام في فهمهم للواقع في شيء والسبب يكمن في عدم فهم مثقفي البلاطوهات لجوهر المشكلة، وقد يكون ذلك حسب شريعتي(2007) نتيجة لإصابتهم بداء"التعالم" فتراهم يخوضون في مشكلة معينة دون أن يبنوا كلامهم على أدنى مرجعية علمية، حتى أن البعض منهم لا يؤهله مستواه العلمي والفكري للتنظير في المشكلة، وقد يكمن الخلل(شريعتي، 2007) في بنائهم المعرفي المكون أوروبيا، إما أكاديميا أو ثقافيا، ليصبحوا بذلك أفواها فاغرة تتلقف اللقم الثقافية التي ترميها أوروبا أمامهم، فيحفظون الألفاظ والاصطلاحات من المفكر الأوروبي الفلاني ومن ثم يأتون بها هدايا لشعوبهم، فكل مشكلة يدعون إلى التنظير فيها لابد وأن يأتوا بنسختها الأوروبية أو الغربية ويطبقون منهجهم المقارن غير العلمي فيستخرجون أوجه الشبه والاختلاف بين المشكلة هنا وهناك، ويعرضون الحلول لمعالجتها كما طبقوها هم متناسين أن هناك بونا شاسعا بين نحن وهم، لأن التاريخ السياسي، والثقافي، والاجتماعي، وحتى التركيبة الفكرية لذلك الأوروبي مختلفة وبعيدة جدا عن الشخصية الاجتماعية للجزائري، ويدل عدم إدراك هذا النوع من المثقفين لهذه الحقيقة أنهم مجرد ألسنة تعودت القراءة والحفظ دون تفعيل للعقل، أو أن مشكلة هؤلاء تكمن في شعورهم بالمسؤولية الفكرية لايدولوجيا ومصالح معينة تجبرهم على التنصل من القيم والمبادئ، وهكذا في كل الحالات

يكون هذا المثقف خارجا عن دوره الحقيقي تجاه قضايا مجتمعه، فيتحول بذلك من مسؤول عن كشف الأكاذيب وإيقاظ العوام من سباتهم المفتعل، إلى شريك في الاستعباد الفكري وأداة لإستحمار أفراد مجتمعه، وبهذا ساهم مساهمة كبيرة في قتل كل مبادرة أو خطوة نحو نهضة الإنسان .

5. -دور المثقف في ظل التحولات المعاصرة(هل هو مُخير؟ أم مُسيَر؟)

يكثر الجدل حول الدور الذي يلعبه المثقف في هذا العصر، فمنهم يرى أن إبداء مواقفهم وآرائهم ضروري من أجل توعية الجماهير، فهو صوت الشعب والمتحدث بالنيابة عنه دون خوف من أية تَبِعات قد تطاله، والمسؤول عن تصحيح الأفكار والمعتقدات الخاطئة التي يتبناها مجتمعهم، والتاريخ يزخر بنماذج من المثقفين الذين عانوا من أجل قضايا شعوبهم فقدموا حياتهم ثمنا من أجل خلق الوعي وتبيين الأمور على حقيقتها لمجتمعاتهم.

يرى البعض أن ظروفا وأحداثا أضعفت دور المثقف بل واستبعدته بشتى الوسائل عن القيام بمسؤوليته المجتمعية في ظل تحكم أبعاد أخرى في دواليب النظام الاجتماعي وأنساقه، فأضحى "الحديث عن الإلتزام مرتبط بنزعة مثالية أخلاقية، وبنزعة ارادية ذاتية تهمل ميكانيزم السلطة والمعرفة"(محمد سبيلا، 2009)، فكان استبعاده إما عن طريق الترهيب بشتى أنواعه بسبب كشفهم الحقائق وتعريتهم للواقع الاجتماعي، أو من خلال تشكيل وصناعة مثقفين موالين لأطراف فاعلة ومتحكمة، لتتخذهم كأدوات لإبقاء الحال على ما هو عليه، وجعلهم يرون ما هو غير كائن، ليساهم هذا الصنف من المثقفين في تشويه ماهية المثقف الحقيقي الذي يتصف بأنه المفكر المصلح.

إننا في ظل عالم معاصر تغيرت فيه الكثير من المعطيات، صاحبتها تغير في وظائف الأنساق داخل المجتمع بسبب ظهور بوادر انحطاط فكري وأخلاقي متمثلة في عبادة المال وأولوية المصالح الشخصية على المصلحة العامة، مما نتج عن ذلك تحييد لكل ما فيه خدمة وعمل من أجل المجتمع، وأصبح إنسان هذا العصر منفصل عن هموم مجتمعه، لاهثا وراء ما يحقق له سعادته الخاصة، هذه العقلية التي قد تكون وليدة اقتناعه بعدم قدرته على التغيير أو حرصا منه على حياته، معاشه، والصبر على المعاناة، وهذا ما يتم تخدير عقول العوام به من أجل ضمان بقاء الحال على ما هو عليه، "بسبب أن الفكرة توارت وحلت محلها

الوثنية، إذ نصب لها في كل سوق منبر تسلية لهم وإبعادهم عن طريق التاريخ"(بن نبي، 1986).

5. - نحو اختفاء المثقف المُصلح

ساهمت وسائل الإعلام في خلق ما يسمى بمثقفي البلاطوهات، سواء في التلفزيون، والإذاعة، وحتى مواقع التواصل الاجتماعي، إلا أن من يظهرون على القنوات التلفزيونية الأبرز لأنهم يستطيعون الوصول إلى كل شرائح المجتمع، وحتى المواطن البسيط الذين يتمكنون من عقله وتوجيه تفكيره نحو الغاية التي يريدونها، لأنهم يتحدثون بلغة هذا المواطن البسيط فيصدقهم، وهكذا يصبح بالنسبة للعوام المناضل من أجلهم والمتحدث الرسمي عنه، فيبجلون ويقدسون أعداء حقوقهم، حريتهم، وإنسانيتهم من حيث لا يشعرون.

إن أية قضية أو فكرة لا يُكتب لها النجاح والفعالية إلا بتوفر شرطين أساسيين: أولهما الدعاية الإعلامية ومثقفو البلاطوهات جزء منها، وثانيهما الرأي العام مسلوب الوعي وفاقد الثقة بكينونته، لأن كل ما يعرض عليهم ليلا نهارا يخدم تلك القضية أو تلك الفكرة، وعندما يرى العوام مساندة المثقفين لها يتبلور موقفهم كما تم التخطيط له، وهكذا تتكون لدينا صورة عن هذا المجتمع المفعول به.

تشير الأحداث والوقائع إلى احتمالية إنقراض المثقفين الحقيقيين مقابل بروز مثقفي البلاطوهات، هؤلاء وحدهم هم من تصدح أصواتهم على قنوات التلفزيون خاصة في وقت الأزمات، فهم من يتم طلب آرائهم وتحليلاتهم في المشاكل والاختلالات المجتمعية، ليتكرر ظهورهم في أغلب القنوات التلفزيونية وكأنهم وحدهم من يمثلون طبقة المثقفين، أو هي سياسة إعلامية لإظهار الوجوه نفسها، ومن كثرة ظهورهم الإعلامي يُخيل للعوام أن هؤلاء هم فقط ما يملك الوطن من مثقفين، ووحدهم من يفهم حقيقة الأمور، فوجب السمع والطاعة لأنهم العارفون والمجتمع هو الجاهل، ومنه وجب على الجاهل تصديق واتباع العارف.

إن ظهور موضة مثقفي البلاطوهات برزت أكثر عندما استُبعد المثقفون الحقيقيون من المشهد، لأن فكرهم يحتوي أفكارا مُركزة تُثقل عقول

البسطاء وتجعلهم يُقدمون على خطيئة التفكير والنقد، وتُغير قناعاتهم التي غُرست فيهم من عصور خلت، ويصبحون على دراية بما لهم وما عليهم، فيزيد مستوى الكآبة لديهم بسبب سوداوية توصيفهم للواقع الاجتماعي، هم لا يريدون هذا النوع من المثقفين لأنهم يعرقلون تطور الوطن، إنما يريدون نوعا آخر من المثقفين ممن يقدمون تحليلا بسيطا بكلمات رنانة، لا تعكس حقيقة الواقع المجتمعي وما يتضمنه من تناقضات ومشاكل اجتماعية ذات انعكاسات سلبية على معيشة المواطن البسيط و هؤلاء هم مثقفو البلاطوهات

6. - خاتمة:

إن المشكلة لا تكمن في وجود مثقف حقيقي ومثقف مزيف، بل تكمن في ما مدى وعي المشاهد والمواطن البسيط لحقيقة كلا منهما، وهنا تأتي مسؤوليته لإعمال ملكة العقل التي وهبه الله إياها، ليفصل بين من يريد صلاحه وإصلاحه، وبين من يعمل ضدها، إلا أن هذا قد لا يكون ممكنا في ظل الفكرة الطاغية على ذلك المواطن البسيط بأن كل ما يدور حوله ليس له شأن به، و خارج مجال التأثير على حياته، فهذا التفكير نابع من رؤيته لذاته حيث تسيطر عليه ضعف الثقة بنفسه وإحساسه بالضعف أمام العالم الخارجي فكل ما حوله أقوى منه، أما إذا اختار المواجهة فإنه سيقع في مشاكل لا نهاية لها والتي تؤدي به إلى الفشل في مواجهتها، لأنه ينتمي إلى الجانب الأضعف مقابل الجانب الآخر الذي يمتلك جميع السلطات، ومنه فإن فرص انتصاره ضعيفة إن لم تكن معدومة، لذا فعدم التفكير في خوضها أفضل له، وهكذا ساهمت وسائل الاعلام القديمة والجديدة منها في تشكيل انسان غير متفاعل مع محيطه فيما أرى أنها تقوم بعملية استلاب لملكة التفكير والنقد لدى الانسان وهما خاصيتين أساسيتين في تكوين المثقف بالمعنى الذي يدل عليه مفهوم علي شريعتي لهذا المصطلح.

يتميز هذا العصر بسمة أساسية تتجلى في أنه يملك اليات عديدة ومختلفة تهدف إلى تشويه وعي الإنسان وجعله كائن مادي استهلاكي، في ظل هيمنة الثقافة التي تُعلي من الاتجاه الفرداني النفعي بالتوازي مع إضعاف الجانب الروحي والأخلاقي لدى الفرد، ومع سيطرة هذا النوع من الثقافة فإن ذلك سيكون له أثره السلبي في تكوين وإعداد المثقف حسب مفهوم شريعتي في المجتمع

الجزائري، وفيما يلي سنقترح حلولا نرى فيها المنقذ _إذا صح التعبير_ لما نسميه المثقف المصلح من الإختفاء واستمرارية وجوده الفاعل في المجتمع وسأقدم حلولا واقعية أكثر تأخذ بعين الاعتبار خصائص الواقع المجتمعي في الجزائر :

- تعتبر التربية الأسرية القاعدة الأساسية في بناء فرد يمتلك وعيا وفهما للمحيط الذي يعيش فيه، من خلال التربية التي تلقاها من أسرته عبر المراحل العمرية لنشأته، وأهم قيمة يجب أن يتعلمها الطفل في أسرته هي الحرية التي تمنحها له كحرية الكلام والتعبير عن أفكاره دون أن يعقبها عقاب أو منع، أو التكرار من عبارة "أنت لاتزال صغيرا على هذه المواضيع" على مسامعه، كما يجب على الطفل أن يكون له حرية الاختيار فيما يأكل ويلبس، والمدرسة التي يريد الالتحاق بها، والهوايات المفضلة لديه وكل ما يعتبر من شؤونه الخاصة، فيما تنحصر وظيفة الأب والأم في المراقبة والتوجيه وتقديم الآراء والأفكار دون فرضها عليه.

- جعل القراءة ومطالعة الكتب عادة عند الطفل في المراحل العمرية المبكرة، ولا يتم ذلك إلا من خلال التقليد، فعندما يرى أحد أفراد عائلته يقرأ باستمرار ويلاحظ أن الكتب جزء مهم من المنزل الذي يعيش فيه فإن هذا سيدفعه لتقليد سلوك القراءة، خاصة في السنوات الخمس الأولى من عمره كما يؤكد علماء النفس.

- عندما تصير القراءة عادة عند الفرد يجب أن يقرأ في جميع المجالات المعرفية دون التقيد بمجال واحد يفضله لثقافة أوسع، ولهذه القراءة شرط هام وضروري وهو أن يرافقها التفكير النقدي لكل ما يقرؤه الفرد ويكون ندا للكاتب، ولا يقتصر دوره على حفظ المعلومات وتكرارها فقط.

قد تكون هذه الحلول عند البعض بسيطة وربما سهلة التطبيق بغاية بناء نموذج المثقف المصلح، وهذا قد يكون صحيحا نظريا أما من الناحية التطبيقية فهو صعب التحقيق لما يتسم به الواقع الاجتماعي الجزائري من مشاكل، على المستوى الفكري والسلوكي في جميع الأنساق الاجتماعية، وخاصة الأسرة وما تشهده من اختلالات في ما يحمله الزوج والزوجة من معتقدات حول مؤسسة

الزواج تكون في معظمها معاكسة للهدف الحقيقي من هذه المؤسسة هذا من جهة، ونقص الثقافة التربوية لديم أو انعدامها من جهة أخرى كل هذا يؤثر في تنشئة الفرد المثقف.

قائمة المراجع

1 - أحمد زكي بدوي (1977)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ص222.

2 - باسكال بونيفاس (2013)، المثقفون المزيفون، ترجمة روز مخلوف، ط1، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص13.

3 - علي شريعتي (2007)، مسؤولية المثقف، ترجمة ابراهيم الدسوقي شتا، ط2، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت.

4 -علي شريعتي (1986). العودة إلى الذات، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ص156.

5 - فهمي هويدي (1999)، المفترون (خطاب التطرف العلماني في الميزان)، ط2، دار الشروق، بيروت، ص49.

6 - مالك بن نبي (1986)، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ص35.

7 - مجد الدين الفيروزأبادي (2008)، القاموس المحيط، المجلد الأول، دار الحديث طبع - نشر -توزيع ، القاهرة، ص218.

8 - محمد عابد الجابري (2000)، المثقفون في الحضارة العربية (محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد)، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص25.

9 - محمد عابد الجابري (د.ت). إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ص102.

10 -محمد سبيلا (2009). مدارات الحداثة، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص88.